وكذلك قولُنا: أعجمتُ الكتابَ: أي أزلتُ عنه عجمته... ومن معنى السّلب والإزالة أُطلقتْ كلمةُ "معجم" على الكتاب الذي يُزيل الْتباسَ معاني الكلماتِ بعضها ببعض.

قال الطالبُ الفتى لأُستاذه الشيخ: إنّ ما تحدّثني به، أيّها الشّيخُ الجليل، أوقع على قلبي من كلّ لذّة، وكنتُ قد سألتُك سؤالاً، من قبلُ، ولم تُجِبْ عنه: ما فوائدُ المعجم؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: قبل أن أُعدّدَ لَكَ فوائدَ المعجم، أريد أنْ تقرأ هذا البَيْتَ، يا بُنيّ:

ولي دونَكُمْ أهْلونَ سيدٌ عَمَلّسٌ وأرقطُ زهلولٌ وعَرْفاءُ جَيْأَلُ

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: أريدُ أن أعلنَ بصراحة أنّني لم أفهمْ ممّا قاله الشّنفرى إلا الجملة الإسميّة: "ولي دونَكُمْ أهلونَ"، فعلمتُ أنّ له أهلاً، ولم أعرف – ممّا قال – شيئاً عنهم.

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: لا جُناحَ عليك يا بُنَيّ، وأنا لا أُؤاخذُكَ على عدم فهمك لما عرضتُ عليك، لأنّني أعلمُ حقّ العِلْمِ بأنّ صعوبةَ اللّغة تقفُ حاجزاً نفسيّاً بيننا وبين الأدب القديم، وما علينا إلاّ أنْ نروّضَ أنفسنا على الصّعب، وأن نعزّز علاقتنا بالمعجم العربيّ، وخاصّةً لسانَ العربِ، لابْنِ منظور، فإنّك واجدٌ فيه تفصيلاً لكلّ ما يتعلّق بالأدب القديم.

وأنا أُقدّر – أيضاً – أن أبناء العربية في أيامنا هذه، لا يحيطون باللغة، مثلما لم يُحِطْ بها القدماءُ أنفسُهُمْ، وهُمْ أصحابُ الفصاحة والبيان. فها هو سيدنا عمرُ بْنُ الخطاب – ﷺ – لم يفهمْ معنى "الأبّ" – على الرغم من فصاحته – في قوله تعالى: "وفاكهةً وأبّا". وابنُ عبّاسٍ، شَيْخُ المفسّرين لم يفهمْ معنى "فاطر"، في قوله تعالى: ﴿الحمدُ للهِ فاطرِ السموات والأرض﴾، حتى استشهد أحد الحاضرين بيت من الشّعر الجاهليّ، هذا الشّعرُ الذي سيصبح أحَدَ مكوّنات المعجم العربيّ، ففهم ابن عباس المعنى.

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: أستخلصُ من حديثك، أيّها الشّيْخُ الجليلُ، أن فائدة المعجم توضيح معاني الكلمات، التي يلتبسُ علينا فهمُها، فيزيلُ ذلك اللَّبْسَ، ويوضّح المعنى.

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: اعلمْ يا بُنَيّ، أنّ للمعجم فوائدَ جمّة، وقد عرضتُ عليك واحدة منها، وسأعرض عليها بعضها، وسأطلب إليك – بعد أن تتعزّزَ علاقتُكَ بالمعجم، وتقرأ فيه – أن تستخلصَ المزيدَ من تلك الفوائد.

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: تفضّلْ، أيّها الشّيْخُ الجليلُ، واعرض عليّ من فوائد المعجم ما وعدتَ، فأنا مُصْغٍ إليك.

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: اقرأ البيتَ الآتيَ، لأبي تمّام، واضْبِطْ عَيْن الفعل، الذي ورد فيه ماضياً ومضارعاً:

تسْعونَ أَلْفاً كآسادِ الشّرى **نضجتْ** أعمارُهُمْ قَبْلَ نضح التين والعنبِ

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: أنا أُقدّرُ أنّ ضَبْطَ عَيْنِ الفعل ماضياً ومضارعاً يشكّل همّا عريضاً لأبناء العربية، في أيامنا هذه، لأنه موقوف على السّماع، وأنّ العَيْنَ تحتمل حركاتٍ ثلاثاً: الفتحة، أو الضمة، أو الكسرة، وأنا أشعرُ، وكأنّك تنصبُ لي كميناً في درسنا لهذا اليوم.

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: أراك تلملمُ أوراقك، وتتحفّز لمغادرة مجلسي قبل أن ينتهي الدّرسُ، فما زال لدينا متّسعٌ من الوقت للخوض في مسائلِ هذا الدرس اللُّغوي الشّائق.

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: أَجَل، أيّها الشّيْخُ الجليلُ، أنا أعلمُ أنّ درسنا لمّا ينتهِ... وطلبتَ إليّ أنْ أقرأ ذلك البيتَ، وأنا أخشى أن ألْحَنَ، فيما أقرأ، وأخبرتني من قبلُ أنّك مثْلُ أجدادنا القدماء، يستبشعون اللّحنَ، ويستقبحونه، وأنا لا أريدُ أن أُخطئ في مجلسك حتى لا أرى ابتسامتك الصّفراء التي تسخر من خطئي....